مخارج المصوّتات لدى النحاة القدامى

فرح ديدوح
جامعة تلمسان - الجزائر

ملخص:
يتناول هذا البحث دراسة لمخارج المصوتات عند النحاة واللغويين العرب، وذلك محاولة لاستقراء جانب من جوانب الدرس الصوتي عند القدامى، وقد تطرقنا في هذا البحث إلى ذكر ما أُثر عن هؤلاء في هذا الجانب، أعني المصوتات بنوعيها: القصيرة والطويلة، ومحاولة ربطه في بعض المواضع بما اِستقرّ في الدرس اللساني الحديث.

الكلمات المفتاحية: الحركات القصيرة، الحركات الطويلة، الصوت اللغوي، المخرج الصوتي، النحاة القدامى

Abstract :
This research represents a study of sounds' articulation by arab linguists; for the sake of understanding one of the facets of the ancient phonological research. This investigation hilghlights what researchers found about this issue, i.e. vowels including the short and the long ones, as well as how this can be related to the placements as indicated in the current linguistic research.

Key words: Short vowels, long vowels, linguistic sound, sound's articulation, early linguists.

قام منهج النّحاة واللغويين القدامى في دراسة الأصوات العربية على الأخذ بمخارج الأصوات، مخالفين فيه الترتيب الأبجدي، فرتبوها وفق مخرجها من أقصى الحلق صعودا إلى الشفتين، وانتهاء بأصوات العلة. كما رسموا لنا الطريقة الصوتية التي يمكن بها معرفة مخرج الصوت، جاء عن **الخليل (ت175هـ)** فيما رواه عنه **الليث(ت175هـ)**: **"وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: أب، أت، أح، أع، أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم قرّب منها الأرفع بالأرفع حتى أتى على آخرها، وهو الميم."**[1] وبناء على هذه الطريقة قسّموا الأصوات إلى قسمين رئيسين: أصوات صامتة، وسمّوها الحروف الصحاح، وأصوات مصوّتة؛ وهي الحروف الجوف أو حروف العلة، قال الخليل: **"في العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة."**[2] وذكر في موضع آخر قوله: **"والحروف الثمانية والعشرون على نحوين: معتل وصحيح."**[3] فالحروف الصحيحة هي التي لها مخرج محدد ومعلوم، أمّا الجوفية أو العلة فليس لها مخرج تنسب إليه إلا الجوف.

أدرك النحاة واللغويون القدامى الفرق بين أصوات المجموعة الثانية حينما تكون مدّة خالصة، وحينما تكون ساكنة أو لينة، فعبّروا عن الأولى بـ: الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة، في حين عبّروا عن الثانية بـ: المتحركة، أو بالواو والياء بعد الفتحة[4]، فقد فرّقوا بينها في الاستعمال وإن جمعها مصطلح واحد.

يتضح لنا ممّا تقدّم أنّ تقسيم القدامى للأصوات العربية كان ثلاثيا على النحو التالي: أصوات صحيحة، أصوات مدّية، وأصوات ليّنة.

1 . مخرج المصوتات القصيرة :

لم يعن النحاة واللغويون القدامى بتحديد مخارج المصوتات القصيرة، وإنما كل ما أثر عنهم في هذا الجانب هو إشارتهم إلى دور الشفتين في النطق بها، مع أنّ منهم من قال إنّ المصوتات لا تختصّ بمخرج، وهذا ما أورده السيوطي على لسان **أبي البقاء العكبري (ت616هـ)** من أنّ الحرف له مخرج مخصوص، والحركة لا تختص بمخرج ولا بمعنى.[5] ولعل أقدم أثر وصلنا في ذلك هو عمل **أبي الأسود الدؤلي(ت68هـ)** أثناء وضعه لرموز الحركات الإعرابية في سبيل ضبط الرسم العثماني الخالي من هذه الرموز؛ فقد أمر أن يؤتى له برجل لقن يفعل ما يأمره به، فقال له: **"إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلا ، فإن ضممت فمي فانقط النقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ."**[6]

نلاحظ من هذا النص أنّ أبا الأسود الدؤلي ميّز بين أنواع ثلاثة من المصوتات انطلاقا من حركة الشفتين. فالفتحة تفتح معها الشفتان، والضمة : تضم معها الشفتان، والكسرة تكسر معها الشفتان. فأبو الأسود الدؤلي أشار فقط إلى الأعضاء التي تبرز أثناء نطق المصوتات، ولم يشر إلى دور اللسان في إنتاج هذه الأصوات.

للخليل فيما نقلته الروايات عنه أن الناطق يتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفي تحريك الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع انفراج الشفتين[7]. فعلى قول **الخليل** الضمة مخرجها من الشفة دون أن يكون للسان دور في إنتاجها، أما الفتحة فمن وسط الفم؛ أي: أن وسط اللسان مسئول عن إنتاجها إضافة إلى فتح الشفتين، بمعنى أنه صوت مركزي، دونما الإشارة إلى مخرج الكسرة.

كما أشار **سيبويه(ت180هـ)** إلى أنّ الناطق يضم الشفتين أثناء النطق بالضمة، إلا أنه ذكر ما يفيد أنها المصوتات لها تختصّ بمخرج معلوم، يتضح هذا من قوله: **"فأما الإشمام فليس إليه سبيل؛ وإنما كان ذا في الرفع؛ لأن الضمة من الواو؛ فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك."**[8]

يُفهم من كلام سيبويه أنّ الضمة عبارة عن نفَس تنضم معه الشفتان فقط، وكان هذا رأي المبرد **(ت285هـ)** أيضا في الفتحة؛ إذ لا علاج فيها، وهي من مخرج الألف.[9]

وقد ذكر **القرطبي(ت461هـ)** أنّ الحركات الثلاث عملهن بالفم، فإذا ضممته حدث الضم، وإذا كسرته حدث الكسر، ومتى فتحته حدث الفتح، وفي أثناء تحريك الحرف بالضم يكون اللافظ به قاطعا للصوت على مخرج الحرف؛ ضاما شفتيه معا في حالة واحدة؛ من غير أن يتخلل بينهما زمان محسوس، وكذلك في حالة الكسر، الحرف يكون كاسرا بفمه مع قطع الصوت على مخرج الحرف المكسور، وكذلك في حال الفتح يكون قاطعا للصوت على مخرج الحرف مع فتح فمه من غير فصل بينهما.[10]

تحدّث **أبو إسحاق الزجاجي (ت337هـ)** في باب القول في معنى الرفع والنصب والجر عن مخرج الضمة والفتحة، يقول: "**فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع؛ لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه.**"[11] وأضاف قائلا عن مخرج الفتحة: "**والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه؛ فيبين حنكه الأسفل من الأعلى، فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه.**"[12]

يمكن لنا من النص الذي ساقه **الزجاجي** أن نتبين وضعية أعضاء النطق حال التلفظ بمصوّتي الضمة والفتحة. فالضمة يتم نطقها برفع الحنك الأسفل إلى الأعلى مع ضم الشفتين.

اعتمد **الزجاجي** في تحديده للمخرج عضوين أساسيين، هما: الشفتان واللسان، فاللسان مع الضمة يرتفع ناحية الحنك الأعلى، مع أنه لم يحدّد الموضع المعين للسان الذي يحدث فيه الارتفاع، أهو مقدّمه أو مؤخّره. أما بالنسبة لطبيعة فتح الشفتين، فإنهما يكونان في حالة ضم؛ أي: استدارة.

وفيما يتعلّق بمخرج الفتحة، فإنّ نطقها يتمّ بفتح الشفتين والفم؛ حتى يبين الحنك الأسفل من الحنك الأعلى، و من المهم جدا أن نتبّين مفهوم الكلمة المنصوبة التي أوردها **الزجاجي** في بداية كلامه، فالكلمة المنصوبة هي التي يرفع صوتها إلى الغار الأعلى[13]، ولعله يقصد برفع الصوت: الرنين؛ ذلك أنّه ينتج عن استواء اللسان في قاع الفم سعة الفراغ بينه وبين الحنك الأعلى مما يؤدّي إلى كبر حجرة الرنين، مع أنه لم يشر إلى حركة اللسان. أما قوله: (بفتح الفم حتى يبين الحنك الأسفل من الأعلى)، فهذا يعني أن الفم مع الفتحة يبقى مفتوحا بشكل متسع، لكنه لم يحدد ناحية أي حنك يتحرك اللسان.

أرجع **ابن جني(ت392هـ)** مخرج الفتحة إلى الحلق؛ حيث نجده يقول وهو يعلّل عدم جواز توجه الضمة أو الكسرة نحو الفتحة: "**فالجواب في ذلك أنّ الفتحة أوّل الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين، ...، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق.**"[14]

نستنتج من هذا النصّ أنّ:

. الفتحة من الحلق، وهي داخلة فيه، وقد تبعه في هذا الرأي **أبو البركات ابن الأنباري (ت 577 هـ)**[15]، ولعل الذي دعاهم إلى القول بذلك هو أن الفتحة بعض الألف، والألف عندهم مخرجها من أقصى الحلق، وبالتالي أخذ الجزء حكم الكل.

. الكسرة من صدر الفم: والصدر أعلى مقدم كل شيء، وأوّله[16]. أي إنّها تخرج من مقدّم الفم.

. الضمة من الشفتين .

إذا حاولنا أن نربط بين كلام **ابن جني** عن مصوّت الكسرة، وبين المعنى المعجمي للفظة: صدر الفم، نجده يقصد أنّ مخرج الكسرة من مقدم الفم وأعلاه؛ أي أنها مصوّت أمامي، ويتم نطقها من أعلى التجويف الفموي إذا اعتبرناه بمثابة القناة التي يمر معها الصوت، ومعنى ذلك أن اللسان يرتفع معها أو أثناء نطقها إلى أعلى درجة من التجويف الفموي، الذي هو الحنك الأعلى. وقد وصف **ابن الأنباري** مخرج الكسرة بقوله: " **الجر من وسط الفم** "[17]؛ أي من وسط الحنك الذي هو الغار.

أما إذا انتقلنا إلى مخرج الضمة؛ الذي هو الشفتان، فإنه لم يخالف في وصفه له جمهور النحاة، على الرغم من أنه أولى عناية كبيرة بالمصوتات، وخصّها بجزء كبير من مؤلفاته، فنحن نظن **أن ابن جني** وغيره من النحاة واللغويين اعتمدوا في وصف هذا المصوّت العضوَ البارز أثناء النطق؛ الذي هو الشفتان، وبما أن أقصى اللسان لا يظهر أو لا يمكن مشاهدة حركته ، فقد أهملوه في الوصف.

باستثناء **ابن رشد (ت590هـ)** عن مصوّت الضمة يتفق إلى حدّ كبير مع الدرس الصوتي الحديث، يقول: " والضمة يوجد مخرجها أبدا في الحرف الواحد بعينه متقدّما على مخرج الفتحة والكسرة فيه، أعني أنها أقرب إلى الحلق في المخرج،...، ولما كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة." 18

لعل ابن رشد يقصد بقوله إنّ الضمة أقرب إلى الحلق: أنها من أقصى الحنك؛ ذلك أنّ اللسان يرتفع ناحية أقصى الحنك الأعلى تاركا فراغا واسعا؛ بحيث لا يحدث أي احتكاك.

2 . مخرج المصوتات الطويلة :

تطرّق النحاة القدامى إلى المصوتات الطويلة أكثر من نظيراتها القصيرة، فاهتموا بذكر مخارجها وصفاتها المميزة، ولكن، قبل أن نفصّل الحديث عن مخارج هذه الأخيرة، لا بد أن نلفت الانتباه إلى أنّ خلط القدامى بين الألف والهمزة في كثير من المباحث النحوية جعلهم يميزون بين أنواع عدة من الألفات؛ ففي مجال الحديث عن أنواعها يذكر **الخليل** اثنين وعشرين ألفا، منها: ألف وصل، وألف قطع، وألف أصل، وألف استفهام، وألف التثنية في حال الرفع، وألف الضمير، وألف الخروج والترنم، وألف التعريف، وألف التعجب، إلى غير ذلك.[19]

تحدّث النحاة عن المصوّتات الطويلة على أنها حروف تتميز بسعة مخارجها.[20] كما تحدثوا عنها على أنها أصوات تنتسب إلى حيز واحد، هو: الجوف؛ لذلك سموها: الجوفية والهوائية[21]، كما أنّها مدّة في الحلق.[22]

وما ينبغي الإشارة إليه هو أن النحاة واللغويين القدامى لم يعالجوا كل مصوّت على حده، وإنما جاء الحديث عن هذه المصوتات متصلا يجمعها أثر واحد، ومع ذلك سنحاول أن نفرد كل مصوّت بحديث خاص.

أ . مخرج الفتحة الطويلة : أفرد **الخليل** بن أحمد الألف مع الياء والواو بحيز واحد، وهو: **الجوف**؛ لذا سماها: الجوفية؛ إذ إنها لا تقع في مدرجة معينة، فهي في الهواء لا حيز تنسب إليه إلا الجوف.[23] وذكر في موضع آخر: **"لبدوّ الياء والواو والألف من الجوف سميت جوفا، وللينها وامتداد الصوت فيها سميت حروف المد واللين، مع اختلاف مجاريها وتباين مباديها."**[24] فمع أنّ هذه الأصوات تنتمي إلى حيز واحد ويجمعها لقب واحد إلا أن كل واحد منها يختص بمخرج معلوم، ولا بأس قبل ذكر هذه المخارج، أن نتبيّن مقصود **الخليل** من الجوف.

الجوف لغة: هو خلاء الجوف كالقصبة الجوفاء، والجوف: الوادي، والجوف: الواسع.[25]

أما اصطلاحا: فهو خلاء الفم والحلق، ومبدأ الجوف مبدأ الحلق، فهذه الأصوات تمتد وتمر على كل جوف الفم، وهو خلاؤه الداخل فيه من غير تحيز، وتنتهي بانتهاء الهواء.[26] وعليه يمكن القول إنّ مقصود الخليل من الجوف ليس أقصى الحلق، أو ما هو أدخل منه، وإنما هو الفراغ الممتد من أقصى الحلق إلى الشفتين؛ معنى ذلك: مخارج هذه الأصوات تبدأ من أقصى الحلق أين توجد الحنجرة، وبما أنها لا تلقى سدا يمنع امتداد الهواء معها سمّاها جوفا.

أما مخرج الألف كما وصفه **الخليل**، فشاخصة نحو الغار الأعلى[27]، والشخوص هو: السّموّ والارتفاع[28]، ولعله يقصد بذلك ما قلناه سابقا عن الكلمة المنصوبة التي يرفع صوتها إلى الحنك الأعلى. ومن الممكن أيضا أن يكون مقصوده من ذلك شيئا آخر، وهو ارتفاع اللسان ناحية الحنك الأعلى، وبما أنّه حدّد جزء الحنك الأعلى الذي يرتفع ناحيته اللسان وهو الغار، فهذا يعني أنّ الجزء الذي يقابله من اللسان هو وسطه، وقد يكون مقصوده من هذا التوظيف: صفة الاستعلاء، فقد وظف الخليل مصطلح **شاخصة** كمقابل **للمنخفضة**، وذلك في قوله: **"وأربعة عشر حرفا مخارجها من الفم، مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه، منها خمسة شواخص، وهن: الظاء والضاد والصاد والطاء والقاف، وتسعة منخفضة، وهن: الكاف، والجيم، والسين، والزاي، والشين، والدال، والتاء والذال والثاء."**[29]

فالأصوات الشاخصة التي ذكرها هي أصوات مستعلية تقابلها **المستفلة**، كذلك المبرّد وظّف مصطلحي الانحدار والارتفاع للدلالة على الاستفال والتفخيم.[30]

الملاحظ عند **الخليل** أنه استثنى الألف من مخرج الحلق عندما ذكر أصواته، يقول: **"أما المصمتة، و هي الصّتم ، فإنها سبعة عشر حرفا صحيحا، منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق، وهي: ع، ح،**

هـ، خ، غ."[31] وتبعه في هذا مكي بن أبي طالب(ت437هـ)، يقول: **"فأما الحروف التي تخرج من الحلق، فستة: الهمزة والهاء، والخاء والعين، والحاء والغين، وقد زاد قوم الألف."**[32]

ويعد **سيبويه** كذلك من الذين أدرجوا الألف ضمن أصوات الحلق؛ يقول: **"فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف."**[33] وهذا مذهب المبرد أيضا، يقول: **"الهمزة وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء وألف هاوية هناك."**[34] فسيبويه لم يحدد رتبة الألف في المخرج، فقط اكتفى بالقول إنّها هاوية في مخرج الهمزة والهاء.

وممن جعل الألف أول المخارج ابن جني كما يتضح من قوله: **"اعلم أنّ أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأوّلها الألف، وآخرها الياء."**[35] وفي موضع آخر يقول: **"مخرج الألف المتحركة؛ التي هي همزة من الصدر، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق."**[36] ومخرجها يتوسط مخرج الهمزة والهاء **"فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول سيبويه."**[37] **وزعم أبو الحسن**[38] **أنّ ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أنّ الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها، والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه: أنّك متى حرّكت الألف، اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي."**[39] **فابن جني** يرى أنّ الألف تلي الهمزة في المخرج، وهي من أقصى الحلق، والدليل على ذلك أنّ مخرجها ينقطع عند مخرج الهمزة، وهذا يعني أنّ رأي **الأخفش** في كون الألف والهاء من المخرج نفسه مخالف لما ذهب إليه **سيبويه** و**ابن جني**؛ لأنها لو كانت كذلك لانقطع مخرجها عند الهاء وليس عند الهمزة.

والهواء مع الألف يكون حرّا طليقا لا يعترضه شيء يقول: **"أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر."**[40] وقريب من هذا قول **أبي عمرو الداني**(ت444هـ): **"فأقصاها مخرجا: الهمزة والألف والهاء، فالهمزة في أول الصدر وآخر الحلق، ثم الألف تليها، وهي صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء من أجزاء الفم، ثم الهاء فوق الألف، وهو آخر المخرج الأول."**[41] وهذا ما ذهب إليه **القرطبي** أيضا:

"الألف يُقال لها الهاوي؛ لأن الفم ينفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة، وتهوي في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء من الحلق."[42] أي إنّ الألف لا تلقى أيّ تضييق أو اعتراض لمجرى الهواء، بل يخرج مستمرا ممتدا .كذلك جعل كل من **الواسطي (ت 740 هـ)** [43] **وابن الجزري** مخرج الألف من أقصى الحلق متوسطا بين مخرجي الهمزة والهاء.[44]

وفي مقابل ذلك جعل **الزمخشري (ت 538 هـ)** و**ابن مالك (ت 672 هـ)** الألف بعد مخرج الهمزة والهاء، وهي من أقصى الحلق[45]. أما **الفيروز آبادي (ت817 هـ)** فذكر أنّ مبدأ الألف من الجوف، ومخرجها من وسط الحلق، يقول: **"هوائي يظهر من الجوف، مخرجه قريب من مخرج العين."**[46]

ومن العلماء من فسّر عدّ الألف من أصوات أقصى الحلق مجازا؛ ذلك بأنّ الحلق مبدأ صوته.[47]

إن كان هؤلاء نسبوا مخرج الألف إلى أقصى الحلق، فإنّ بعضهم الآخر لم ينسبها إلى حيز أو مخرج معين، **نحو ابن الطحان (ت561هـ)**[48]، و**العكبري**، و**ابن عصفور (ت669هـ)** يقول **ابن الطحّان: "الألف لا تتحيّز إلى جزء من أجزاء الفم، فهي مذ تندفع تهوي في هوائه حتى يغوص صوتها في آخره؛ ولذلك سميت بالهاوي؛ لأن سكونها غير جار في مقطع ولا حاصل في حيز."**[49]

أضاف **العكبري** أنّ الألف لا يعمل في إخراجها شيء من الأعضاء سوى أنها نفَس يجري، يقول: **"الألف هوائية، تجري مع النفس لا اعتماد لها على الفم."**[50] ونجد مثل هذا القول عند **ابن يعيش (ت 643 هـ)**، يقول: **"الهاوي: الألف، ويُقال له الجرسي**[51]**، لأنه صوت لا معتمد له في الحلق...و أمّا الألف فتجد الفم و لحلق منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط و لا حصر."**[52]

وغير بعيد عن هذا الكلام قول **ابن عصفور: "الألف خفيفة جدا، وهي لا يُعتمد بها على مخرج."**[53] وهي مستوية ومتوسّطة عند **السّرّمرّي (ت776هـ)**[54] يقول: **"الألف حرف منتصب يمتد إلى أعلى الحنك."**[55] فهو لم يذكر العضو الذي ينتصب أثناء نطق الألف، ولا جزء اللسان الذي يرتفع، وناحية أيّ جزء من الحنك يرتفع.

نستشفّ من كل ما تقدّم، أنّ جلّ العلماء القدامى من نحاة و قرّاء عرضوا لمخرج الألف إلا أنّ وصفهم له اكتنفه الاضطراب والشمولية، فتارة يذكرون أنه لا ينتسب إلى مخرج أو حيز معين، وتارة أخرى ينسبونه إلى أقصى الحلق، أو إلى وسطه كما فعل **الفيروز آبادي**.

ب . الكسرة الطويلة : ميّز النحاة بين الواو والياء حالة كونهما صوتي مدّ، وحالة كونهما صحيحتين، فعندما تكون الياء صحيحة فإنّ مخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، والواو شفهية مخرجها من مخرج الباء والميم.[56]

والفرق بين كونهما مصوّتين وبين كونهما ليّنين يكمن في سعة مجرى الصوت، يقول **القرطبي: "الواو والياء تارة من حروف المد و اللين بأن تسكنا، ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرت عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المدّ، وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة."** [57]

فمجرى الصوت مع المصوّتات يكون أوسع منه مع كونها لينة، أو صامتة، فحين تكون الياء مدية؛ أي مصوّتة فإنها تكون مختفضة نحو الأضراس عند **الخليل**[58]، ولعلّه يقصد بالانخفاض انخفاض الحنك الأسفل.

أمّا **المبرد** فميز مخرج الكسرة الطويلة بمخرج الياء اللينة، وذلك أثناء حديثه عن إدغام الجيم والشين فيها، يقول: **"ولا تدغم الشين ولا الجيم فيها؛ لئلا يدخل في حروف المدّ ما ليس بمدّ، فالياء بائنة منهما للمدّ واللين الذي فيها، فهي منهما بمنزلة حرف بعيد المخرج من مخرجها وإن كانت من**

ذلك الموضع."[59] فالياء والجيم والشين يجمعها حيّز واحد، مع مفارقة الياء لهما في صفة المدّ واللين، ومع ذلك، ذكر في موضع آخر أنّ الألف والياء والواو حيّز على حدة [60]، وتارة أخرى: "**الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه وإن كانت بعيدة المخرج منها، وذلك لما يجمعها من المدّ واللين.**" [61]

نستنتج من هذا أنّ مخرج الكسرة الطويلة هو وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، وأنّ الحيّز الذي تحدّث عنه هو حيّز الصفات و ليس حيّز المخارج.

لم يبتعد **ابن جني** كثيرا عن وصف الخليل، يقول: "**وأمّا الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا، وقد اكتنفت جنبتي اللسان، وضغطته وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعِّدا هناك.**"[62] فمع الياء المدية يتسع مجرى الهواء، بفضل الفراغ بين ظهر اللسان والحنك الأعلى، كما أن الهواء معها يجري متصعدا ، بسبب ارتفاع مقدَّم اللسان ناحية مقدم الحنك الأعلى .

وصف الداني مخرج الياء بقوله: "**الياء حرف مدّ مجهور، يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، ثم يهوي إلى الحلق، فينقطع آخره عند مخرج الألف.**"[63] كذلك جعلها **القرطبي** منقطعة عند مخرج الألف، يقول: "**الياء تهوي في الحلق وتنقطع عند مخرج الألف.**"[64]

وعنى **ابن عصفور** و**الاستراباذي** بذكر العضو الذي يُسهم في إنتاج الكسرة الطويلة، وهو اللسان؛ حيث يرتفع قِبل الحنك الأعلى.[65]

الملاحظ من هذه الأقوال أنّ أصحابها كانوا متفقين على أنّ مخرج الكسرة الطويلة يكون بارتفاع اللسان قِبل الحنك الأعلى، مع ترك فراغ أو فجوة كما عبّر عنه ابن جني من أجل حرية مرور الهواء.

ج . **الضمّة الطويلة** : كانت إشارة النحاة القدامى لها من خلال حركة الشفتين، وهذا ما نجده في قول الخليل: "**مدرجة الواو مستمرة بين الشفتين.** "[66]

أمّا **ابن جني** فنبّه إلى ترك فراغ عند ضم الشفتين حتى يخرج الهواء مستمرا، يقول: "**أما الواو، فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج؛ ليخرج فيه النفس ويتّصل الصوت.**"[67] وجعل أبو عمرو **الداني** مخرج الواو من الشفة إلا أنها تهوي في الفم، حتى تتصل بمخرج الألف، يقول: "**الواو تخرج من الشفة، ثم تهوي في الفم، فينقطع آخره عند مخرج الألف.**"[68]

لم تختلف آراء من جاء بعد هؤلاء حول مخرج الضمة الطويلة، عدا تفريق بعضهم بين الواو والياء، وبين الألف من حيث تيار الهواء المنتج لها.[69]

بعد أن عرضنا مخارج المصوتات القصيرة والطويلة عند النحاة القدامى نودّ أن نقابل وصف الفارابي(ت339هـ) لها بما ذكره أبو عمروالداني أثناء تعليله لاتخاذ المصوّتات لهذه المواضع، ولذلك سنذكر النصين ثم نحاول الربط بينهما.

قال الفارابي: "والأطراف ثلاثة، إمّا الطرف العالي وهو "الألف"، وإمّا الطرف المنخفض وهو"الياء"، وإمّا المتوسّط وهو "الواو". 70

وقال أبو عمرو الداني: "فموضع الفتحة من الحرف أعلاه؛ لأن الفتح مستعل، وموضع الكسرة من أسفله؛ لأن الكسر مستفل، وموضع الضمة من وسطه أو أمامه؛ لأن الفتحة كما حصلت في أعلاه والكسرة في أسفله؛ لأجل استعلاء الفتح، وتسفّل الكسر، بقي وسطه؛ فصار موضعا للضّمة."71

يقصد الفارابي بالأطراف الحدود الظاهرة البيّنة، وهي ثلاثة، الحدّ الأول هو: الألف، وهو العالي أو المستعلي كما وصفه الداني، والثاني هو الياء، وهو المنخفض أو المستفل، أمّا الثالث، فهو المتوسّط، وهكذا وصفه كلاهما. وطبعا لا يمكن أن يكون مقصدهما من هذه الأوصاف صفة التفخيم والترقيق؛ لأنّ العلو أو الإستعلاء والإنخفاض أو الاستفال هو من صفة العضو، وليس من صفة الصّوت، وبالتالي يمكن تفسير العلوّ بارتفاع واستعلاء الحنك الأعلى نتيجة استواء وانتصاب اللسان في قاع الفم، مع أنهما لم يشيرا إلى حركته، أما الانخفاض فهو انخفاض الحنك الأسفل نتيجة ارتفاع اللسان ناحية مقدّم الفم. والتوسّط يعني اتخاذ الحنكين وضعا وسطا في الارتفاع؛ لأنّ حركة اللسان تكون ناحية أقصى الحنك.

مما تقدم نقول إنه لم يؤثر عند النحاة القدامى إشارة صريحة إلى دور اللسان في إنتاج مصوت الضمة، وهو ارتفاع أقصاه ناحية الحنك الأعلى؛باستثناء ما ذكره ابن رشد الخطيب، ذلك أن حركة اللسان تكون حال النطق بها خلفية لا يمكن مشاهدتها كما يمكن مشاهدة حركة الشفتين التي تكون بارزة، ولعلهم معذورون في ذلك؛ لأنه لم تتهيأ لهم الوسائل اللازمة للكشف عن مثل هذه الأمور في جهاز النطق، ولو تيسّر لهم ما توفر لغيرهم لما فاتهم شيء من ذلك .[72]

ونستشفّ أيضا من وصف النحاة واللغويين القدامى للمصوتات الطويلة والقصيرة إغفال حركة اللسان ودوره في إنتاجها؛ ذلك أنّهم وجّهوا اهتمامهم في الوصف إلى العضو الأكثر بروزا؛ وهو الشفة.

توثيق الدراسة:

1 – الكتاب العين، 1/ 47، خالف المحدثون القدامى في طريقة تحديد المخرج، وحذّروا من الإتيان بألف وصل قبل الصوت؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال؛ الذي هو أساس التجربة الصحيحة، يُنظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص: 51.

2 – العين، 1/ 57 .

3 – تهذيب اللغة،61/1 ، وسر صناعة الإعراب، 76/1.

4 – تهذيب اللغة، 63/1.

5 – الأشباه والنظائر في النحو،1/ 186.

6 – السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، ص: 39.

7 – الأشباه والنظائر في النحو، 1/ 193.

8 – الكتاب، 4/ 285 .

9. المقتضب، 1 / 153، 189.

10 – الموضح في التجويد، ص: 27.

11 – الإيضاح في علل النحو، ص 93.

12 – نفسه، ص: 93 .

13 – تهذيب اللغة، 9/ 355.

14 – سر صناعة الإعراب، 1/ 68.

15 – الأنباري، أسرار العربية، ص: 45.

16 – تهذيب اللغة، 9/ 292 – 293.

17 – أسرار العربية، ص: 45.

18 – الضروري في صناعة النحو، ص: 55.

19 – يُنظر: الخليل، كتاب الجمل في النحو، ص: 245 ،265 ، وتهذيب اللغة،11/ 526 ، وما بعدها، والثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص: 265 – 266، ويُنظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،6/2، 11، ويُنظر: عبد الحليم بن عيسى ، الوظائف النحوية لأحرف العلة في العربية، ص: 152.

20– الكتاب، 4/ 575 ، وسر صناعة الإعراب،21/1، وينظر: السُّرَّمرِّي، اللؤلؤة في علم العربية وشرحها، ص: 80، وابن عصفور، الممتع في التصريف، ص: 427.

21 – المقتضب، 1/ 237، وتهذيب اللغة،1/ 61، والتمهيد في علم التجويد، ص: 34 – 37، ويُنظر: عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص: 95.

22 – شرح المراح في التصريف، ص: 87 .

23 – تهذيب اللغة ، 60/1.

24 – تذكرة النحاة، ص: 29 .

25 – تهذيب اللغة،8/ 456.

26 – ينظر: علي بن أحمد صبره(ت1367هـ)،العقد الفريد في فن التجويد، ص: 32.

27 – تهذيب اللغة،63/1.

28 – نفسه،5/ 262.

29 – تذكرة النحاة، ص: 26.

30 . المقتضب، 1/ 248 .

31 – تهذيب اللغة، 1/ 62 .

32 – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 1/ 207 .

33 – الكتاب، 4/ 573.

34 – المقتضب، 1/ 223.

35 – سر صناعة الإعراب، 1/ 55.

36 – سر صناعة الإعراب، 1/ 57.

37 – جعل سيبويه الألف بعد الهاء في المخرج وليس كما قال ابن جني.

38 – هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، من نحويّي البصرة، أسن من سيبويه، له كتب كثيرة في النحو والعروض والقوافي، مات بعد الفراء بسنة، أخبار النحويين البصريين، ص: 72 – 73، ومراتب النحويين، ص: 80.

39 – سر صناعة الإعراب، 60/1، والممتع في التصريف، ص: 424.

40 – نفسه،1/ 21.

41 – التحديد في صنعة الإتقان والتجويد، ص: 192، 269.

42 – الموضح في التجويد، ص: 30، 46، 49.

43 . هو عبد الله بن المؤمن، أبو محمد نجم الدين ابن الوجيه ابن عبد الله الواسطي، مقرئ رحالة من العلماء، ولد بواسط وقرأ بها وبدمشق وبالقاهرة، الأعلام، 100/4 . 101.

44 – يُنظر: الواسطي، الكنز في القراءات العشر، ص: 40،47، والتمهيد في علم التجويد، ص: 66.

45 – ينطر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص: 520 – 522، ويُنظر: ابن مالك، سبك المنظوم وفكّ المختوم، ص: 275.

46 – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 6/2.

47 . ينظر: أبو السعود أحمد الفخراني، أصوات القرآن الكريم "منهج دراستها عند المرعشلي في كتابيه: جهد المقلّ وبيانه، ص:133.

48 . هو عبد العزيز بن علي بن محمد أبو الأصبع الاشبيلي، قارئ مجوّد، له شعر حسن، ولد بإشبيلية، له: نظام الأداء في الوقف والابتداء، ومقدّمة في مخارج الحروف، الأعلام، 22/4.

49 – ابن الطحان، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن،85/1.

50 – العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب،1/ 85 .

51 – الجرْس: هو فهم الصوت في سكون الحرف، يُقابله الصرف، وهو حركة الحرف، تهذيب اللغة، 1/ 61 – 62.

52 – ابن يعيش، شرح المفصل،10/ 130.

53 – ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"، 1/ 439.

54 . هو يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العبادي، جمال الدين السرمري، حافظ للحديث، من علماء الحنابلة، توفي في دمشق، له: إحكام الذريعة في أحكام الشريعة، والفوائد السرمرية، الأعلام، 250/8 . 251.

55 – اللؤلؤة في علم العربية، ص: 80.

56 – الكتاب، 4/ 573، والمقتضب،1/ 224، وتهذيب اللغة، 1/ 60، وسر صناعة الإعراب،1/ 60، والتحديد في صنعة الإتقان والتجويد، ص: 194، والمفصل في صنعة الإعراب، ص: 520 – 522، وسبك المنظوم وفكّ المختوم، ص: 275.

57 – الموضح في التجويد، ص: 68 – 69.

58 – تهذيب اللغة، 1/ 63.

59 . المقتضب،1 /237.

60 . نفسه،1 / 237.

61 . نفسه،1 / 237.

62 – سر صناعة الإعراب،1/ 21.

63 – التجديد في صنعة الإتقان والتجويد، ص: 288.

64 – الموضح في التجويد، ص: 30.

65 – شرح المفصل، 10/ 130 – 131، والممتع في التصريف، ص: 427، ويُنظر: الاسترآباذي، شرح شافية ابن الحاجب، 3/ 216.

66 – تهذيب اللغة ، 1/ 63 .

67 – سر صناعة الإعراب،1/ 21.

68 – التجديد في صنعة الإتقان والتجويد، ص: 323.

69 – اللباب في علل الإعراب والبناء،1/ 99، والممتع في التصريف، ص: 673، وشرح شافية ابن الحاجب، 3/ 261، وشرح المراح في التصريف، ص: 86 – 87، واللؤلؤة في علم العربية، ص: 62.

70 – الموسيقى الكبير، ص : 1073 .

71 – المحكم في نقط المصحف ، ص : 42 .

72 – يُنظر: المهدي بوروبة ، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الدكتراه في الصوتيات ، الجزائر ، 2002، ص: 79.

مكتبة البحث:

1 . الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (ت 370 ه)، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 2004.

2 . الاسترآباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، دط، دت.

3 . الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت577ه)، أسرار العربية، تحقيق: محمد البهجت البيطار، دط، دت.

4 . والثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: فايز محمد، مراجعة وفهرسة: إميل يعقوب ومحمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط1، 2006.

5 . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، خرّج أحاديثه: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، 2006.

6 . ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392ه)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط2، 2007.

7 . حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.

8 . أبو حيان الأندلسي(ت745ه)، تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، جامعة اليرموك، مؤسسة الرسالة، 1986.

9 . الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 ه)، كتاب الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباو ، ط5، 1995.

.كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

11 . الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت 444 ه)، التحديد في صنعة الإتقان والتجويد، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2003.

12 . ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع ، تقديم: محمد إبراهيم عبادة ، دار الفكر العربي، 2008.

13 . الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت337 ه)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: زكي المبارك، دار النفائس، بيروت . لبنان، ط6، 1996.

14 . الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط7،.1986

15 . الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت538ه)،المفصل في صنعة الإعراب، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1999.

16 . السُّرَمرِّي، يوسف بن محمد(ت776ه)، اللؤلؤة في علم العربية وشرحها، تحقيق: أمين عبد الله سالم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1،.1992

17 . أبو السعود أحمد الفخراني، أصوات القرآن الكريم "منهج دراستها عند المرعشلي في كتابيه: جهد المقلّ وبيانه، مطبعة الأمانة، مصر، ط1991،1.

18 . سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180ه)، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان،1999.

19 . السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، المكتبة المكية، دار ابن حزم، السعودية، ط1، 2006.

120 . السيوطي، جلال الدين (ت 911ه) ، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، دط، دت.

21 . ابن الطحان، عبد العزيز الاشبيلي السماتي المقرئ (ت561 ه)، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، .2009

22 . أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، 2004.

23 . عبد البديع النيربابي، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط1، 2006.

24 . عبد الحليم بن عيسى ، الوظائف النحوية لأحرف العلة في العربية، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغويات ، الجزائر ، .1997

25 . ابن عصفور(ت 669ه)، شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"، تحقيق : صاحب أبو جناح ، 1682

26 . وابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط8، .1994

27 . العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت 616 ه)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: فازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت . لبنان، دار الفكر، دمشق . سوريا، .2001

28 . علي بن أحمد صبره (ت1367ه)،العقد الفريد في فن التجويد، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

29 . العيني، بدر الدين محمود أحمد (ت855ه)، شرح المراح في التصريف، تحقيق: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007.

30 . الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 ه) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط2 ، 1986.

31 . الفارابي، أبو نصر(ت 339 ه)، كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت . لبنان، 1970.

32 . الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة: محمود أحمد الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط ، دت.

33 . القرطبي ، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي(ت461 ه)، الموضح في التجويد، ضبط: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 2006.

34 . المبرد أبو العباس، (ت285ه)، المقتضب، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1999.

35 . مكي بن أبي طالب القيسي(ت437ه)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة،2007.

36 . ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني، سبك المنظوم وفكّ المختوم، تحقيق وتعليق: عدنان محمد سلمان، فاخر جبر مطر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2004.

37 . الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه (ت740 ه)، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، .1998

38 . ابن يعيش أبو البقاء موفق الدين (ت 643 ه)، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنبرية، مصر، دط، دت.